جراحات المسلمين بين النصرة والخذلان

١٥ جمادى الأولى/١٤٤١

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد، فيا أيها المسلمون: إن من أقدار الله التي جرت على أمتنا في هذا الزمان الذي نحن فيه أن تبتلى بأنواع المحن والخطوب؛ أعداءٌ متربصون، وحكام متخاذلون، وشعوب مفككة، وشريعة مغيَّبة، ومعاصٍ ظاهرة، وجراحات غائرة، لا تندمل في مكان إلا وتُنكأ في آخر، وآخرُ ذلك جراح إخواننا في إدلب وتُركستان والهند، وسمٍّ ما شئت من بلاد الإسلام، فإن حالها يصدق فيها قول القائل:

في كل جزء من بلادي مشهد يروي ضياع كرامة الإنسان

والعالم الظالم الجائر، المتبجح بمجلس أمنه، وحقوق إنسانه= يقف موقف المتفرج في كل مرة تُباد فيها أمتنا، وتسفك فيها دماؤُنا، وتنتهك فيها أعراضُنا، ولو مات كلب من كلابهم لأقاموا الدنيا وما أقعدوها، شركاء في الجريمة، لكنهم يتبادلون الأدوار؛ بعضهم يفعل والآخر يؤيد أو يسكت.

تفرق جمعهم إلا علينا فصرنا كالفريسة للكلاب

عباد الله: إن من أصول ديننا موالاةَ أهل الإيمان ومحبتَهم ونصرتَهم، ومعاداةَ أهل الكفر

والشرك والإجرام وبغضَهم.

دلت على هذا الأصل عشراتُ النصوص من الكتاب والسنة، بل لا يُعلم في ديننا بعد توحيد الله أصلٌ عُظِّم وأُكِّد عليه مثلُ هذا الأصل، ومن شواهد ذلك أن كلمة التوحيد في ركنيها (النفي والإثبات) مبنية وقائمة عليه.

فـ (لا إله): نفي يتضمن البراءة من الشرك وأهله.

و (إلا الله): إثبات يتضمن موالاة الله ورسوله وعباده المؤمنين.

هذا دين الله، وهذه ملة إبراهيم عليه السلام، التي لا يرغب عنها إلا من سفه نفسَه، ولا يصح دين العبد وتوحيده إلا بذلك.

هل الدين إلا الحب والبغض والولا   كـــذاك البَرا من كل غاو وآثم

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤]، **﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾** [آل عمران: ٢٨].

واعلموا يا عباد الله أن الله لا ينصر عباده المؤمنين على عدوهم إلا بتحقيق هذا الأصل العظيم. قال سبحانه: **﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾** [المائدة: ٥٥-٥٦]، وقال جل شأنه: **﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾** [الأنفال: ٧٣].

فبين سبحانه في الآيتين أن حصول الموالاة والمواساة بين أهل الإيمان سبيلٌ إلى الغلبة والنصرة، ودفعٌ للفتنة والفساد في الأرض، وتاريخ أمتنا وحاضرُها خير شاهد على ذلك؛ فإنه متى تعاضد أهل الإيمان وتناصروا وقويت أواصر الأخوة والمحبة بينهم= أعزهم الله وأذل عدوهم، ومتى تفرقوا وتباعدوا واختلفوا وخذل بعضهم بعضا= أذلهم الله وسلط عليهم عدوهم، وحصل لهم من الفتنة والفساد ما لا يعلمه إلا الله، وإنه للذي قال الله **﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾**.

عبد الله: اسمع قول نبيك ﷺ: **(ما من امرئٍ يخذُلُ امرَأً مسلماً في موضعٍ تُنتهَكُ فيه حرمتُهُ، ويُنتقَصُ فيه من عِرْضِهِ، إلا خذلَهُ الله في موطِنٍ يُحبُّ فيه نُصرَتَهُ، وما من امرئٍ ينصُرُ مُسلِماً في موضعٍ يُنْتَقَصُ فيه مِن عِرْضِهِ، ويُنتهَكُ فيهِ من حُرمتِه إلا نصرَهُ الله عَزَّ وَجَلَّ في موطنٍ يُحِبُّ فيه نُصرتَه)**[1].

أيكم لم يسمعْ، ولا يحفظُ قول النبي ﷺ: **(الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا)**[2]، وقوله ﷺ: **(مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى)**[3].

وقولَه: **(الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ)**[4].

وقولَه: **(الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ)**[5].

أحاديثُ جرت بها ألسنتا، وغابت عن عقولنا وقلوبنا، يرسِّخ فيها النبي ﷺ أخوة الإيمان، ورابطة الإسلام، التي هي أقوى من كل رابطة، أقوى من روابط الجماعات والحركات والأحزاب والتنظيمات والجمعيات والمؤسسات وغير ذلك مما يجتمع عليه الناس، فكلها في الأصل لا يُشرع أن تقوم وتؤسس إلا لإقامة دين الله، ونصرة عباده وأوليائه، فهي وسائل لتحقيق هذه الغاية العظيمة، والوسائل لا تعود على الغايات بالإبطال.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأتباعه إلى يوم الدين.

أما بعد، فيا معاشر الأحبة: إن من أخبث ما يخطط له أعداء هذه الأمة من الكفرة والمشركين وأنصارهم= تمزيقَ صفها، وتفريق كلمتها، وتقطيع أوصالها؛ حتى تُشغَلَ كل طائفة بشأنها، وكل مسلم بنفسه، فإن تم لهم ذلك أضحت الأمة فريسة لعدوها، ونال منها ما أراد.

---

(١) أخرجه أبو داود من حديث جابر بن عبد الله وأبي طلحة بن سهل الأنصاري ﷺ، وهو مروي من طرق عند أحمد وغيره يحتمل التحسين بمجموعها. انظر تخريجه في "سنن أبي داود" (٧/٢٤٥ وما بعدها- ط الرسالة).

(٢) أخرجه الشيخان من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ.

(٣) أخرجه الشيخان من حديث النعمان بن بشير ﷺ.

(٤) أخرجه الشيخان من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٥) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ.

عباد الله: إننا أمة واحدة، ربنا واحد، وديننا واحد، ونبينا واحد، وكتابنا واحد، وقبلتنا واحدة، فبربكم فيم نختلف؟، ﴿**وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ**﴾ [المؤمنون: ٥٢].

إن يفترق نسب يؤلف بيننا   ديـــن أقمناه مقـام الوالـــد

أو يفترق ماء الغمام فماؤنا   عذب تحدر من غمام واحد

واجب على كل مسلم أن ينصر إخوانه المسلمين المستضعفين بما يستطيع، وأبواب النصرة ليست محصورة في باب واحد، فيدخل في ذلك: النصرة العسكرية، والنصرة السياسية، والنصرة العلمية، والنصرة الدعوية، والنصرة الإعلامية، والنصرة الإغاثية، وغير ذلك مما تتحقق به النصرة في أي ميدان من الميادين(٦).

ومن عجَز عن ذلك أو عن شيء منه فلا أقل من العناية بأحوال إخوانه، ومعرفة أخبارهم، والتوجع لمصابهم، والدعاء لهم، فهذا لا يعذر فيه أحد، وهو من مقتضيات الإيمان، ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ**﴾ [التوبة: ٧١]. "وعلى قدر الإيمان تكون المواساة، فكلما ضعف الإيمان ضعفت المواساة، وكلما قوي قويت، وكان رسول الله ﷺ أعظم الناس مواساة لأصحابه، فلأتباعه من المواساة بحسَب اتباعهم له"(٧).

ثبتنا الله على دينه، ووفقنا لمرضاته، وتولانا وإخواننا المسلمين برحمته.

اللهم اجعل لنا من كل هم فرجا، ومن كل ضيق مخرجا، ومن كل عسر يسرا، ومن كل بلاء عافية. اللهم اجعل ضيقنا إلى سَعة، وحزننا إلى فرح، وخوفنا إلى أمن، وفقرنا إلى غنى.

يا حي يا قيوم برحمتك نستغيث، أصلح لنا شأننا كله، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين.

اللهم إنا نعوذ بك من جهد البلاء، ودرَك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء.

ربنا أعنا ولا تعن علينا، وانصرنا ولا تنصر علينا، واهدنا ويسر الهدى لنا، وانصرنا على من بغى علينا، ربنا اجعلنا لك ذكارين، لك شكارين، لك رهابين، لك مطواعين، لك مخبتين، إليك أواهين منيبين، ربنا تقبل توباتنا، واغسل حوباتنا، وأجب دعواتنا، وثبت حجاتنا، واهد قلوبنا، واسلل سخيمة صدورنا.

---

(٦) للشيخ أحمد الصويان رسالة بعنوان "جراحات المسلمين وواجب النصرة"، ذكر فيها (ص٥٤ وما بعدها) صورا وميادين متنوعة للنصرة، فانظرها فإنها مفيدة، والرسالة في جملتها نافعة ثرَّة سدت ثغرا في هذا الباب، وقد استفدت منها هنا.

(٧) الفوائد (ص٢٥٠- ط عالم الفوائد) لابن القيم، بتصرف يسير.

اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك، وعبادك الذين يجاهدون في سبيلك؛ نصرة لدينك، وإعلاء لكلمتك، اللهم انصرهم وثبتهم، وقوهم وأعنهم، اللهم صوب رميهم، وسدد رأيهم، واجمع على الحق كلمتهم، اللهم عليك بعدوك وعدوهم.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، وصل يا ربنا وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه، وأنت يا مؤذن أقم الصلاة.